

مسرحة

الخطاميس من الكتاب

للمؤلف محمد مسط

مسرحية

الخامس من أكتوبر

للمؤلف محمد ميسط

الطبعة الأولى 2024

©

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة للكاتب

شخصيات المسرحية

الأستاذ

معلمة الفزياء

معلم اللغة العربية

معلم الرياضيات

معلمة الإجتماعيات

معلم الطبيعيات

معلم اللغة الفرنسية

أستاذة المعلوماتيات

معلم اللغة الإنجليزية

معلم التربية الدينية

الراوي

المجرم

الفصل السادس

الراوي

: لم يأبه أحد لما سلف، فصوت سير القطار خيم على الوضع جاعلا

ما حدث عابرا من العوابر العادية لا أكثر ولا أقل.

معلم التربية الدينية : (متشكا على جانبه)...لو لم يكن ذلك الفقيد مولوعا بالتمرد و الثورة لكان

لا يزال على قيد الحياة،...أجل ! وهنا بيننا الآن، إنها لنفسه وحدها أبت

قيادته الهوجاء تلك لها وإختارت الرحيل، إختارت حكمة الله...

وكم من رافض للسلم مثله عساه يبقى حيا مع كل تلك الكراهية، أسفاه !

معلمة الإجتماعيات : المرحوم، كان غير راض عن أي شيء، بإرادته العدائية تلك، يذكرني

بألمانيا في ذروة حقدتها على فرنسا، فبعد أن حل السلم و الأمن الدسمين،

تراه تنبش كالحية باحثة عن الشرور وجميع أنواع الفتن.

معلمة الفزياء : كلا ! بل ألمانيا بريئة ! لقد كانت مجرد دولة تدافع عن مملكتها و محاولة

حفظها من أيادي الطغاط الفرنسيين.

معلمة الإجتماعيات : (تضحك ساخرة) هل أنت على ما يرام،.. تمزحين صحيح ؟

معلمة الفزياء : (متفاجئة من ضحكها) ماذا ؟ هل تسخرين من رأي الجائز...؟

معلم اللغة الإنجليزية : أظن أنك يا معلمة الفزياء لم تفهمي قصدي بدقة أو نسيتته بالكامل حين حدثتك عن المواطن التي يجوز فيها إبداء الرأي، فالمواضع التي لها مصادر معلوماتية ثابتة لا يمكن التناظر فيها أو تناول نقاشات عمياء حولها، لاسيما مع المتخصصين فيها ذوي الشهادات العليا...

معلمة الفزياء : لكن...؟ لكن التاريخ ليس علما ثابتا.

الأستاذ : بل هو كذلك، فهناك وثائق وكتابات ذات مصداقية تعيد لنا كل ما حدث وجرى في تلك الفترة... فقد كانت ألمانيا أول مشتبته به مسؤول عن نشوب الحرب العالمية الأولى.

معلمة الاجتماعيات : صحيح ! فبعد إندلاع الحرب العالمية الأولى تأزمت أوضاع أوروبا الغربية الاقتصادية والاجتماعية، وحين حاولت الدول المنتصرة فيها إعادة بث السلم والأمان لم يجدوا حلا غير تكبيل ألمانيا تلك اللبوة الشرسة، من خلال عدة بنود صارمة قرّرت في معاهدة فرساي، التي عقدت بباريس سنة ١٩١٩م.

معلمة الفزياء : (ممتعضة) أنا أعرف هذا جيدا... لكنني نسيتي يا صغيرتي أن قبل معاهدة فرساي تلك، عقد أولا مؤتمر الصلح بباريس.... حضره الأربعة الكبار... ثم أعلنت بعده معاهدة فرساي تلك الملقبة أيضا بالسلام المفروض.

معلبة الإجتماعيات: (مندهشة بشدة) لكني أعلم ذلك! أعلم ذلك! يدعى أيضا مؤتمر السلم، فقد

حضره زعماء الدول المنتصرة و غاب عنه زعماء الدول المنهزمة، حضره

الرئيس الأمريكي ويلسون، الرئيس الفرنسي كليمانصو، وزير خارجية

إيطاليا أورلندو ثم وزير خارجية بريطانيا لويد جورج، تناقشوا فيه

و تشاورو حول الطرق و الوسائل التي سيتبعونها لإعادة السلم و الأمن

في أوروبا الغربية .

أستاذ اللغة العربية: (مستشكلا) أتذكر أنه كان بمثابة بداية لمعاهدات أخرى ... كان قد خلفها،

لأنهم بدأو يتوصلون من لقاء لآخر لحولا جديدة، إذ عقدت معاهدات

ثانية تتعلق بدول أخربكانت لها اليد مع ألمانيا في إشعال نار الحرب.

معلبة الإجتماعيات: (مبتسمة) فعلا! فمعاهدة فرساي تعلقت أغلب بنودها بألمانيا، فقد تم

فرض بنود ترابية ثقيلة عليها، كإقتطاع منطقتي الألزاس و اللورين منها

و إخضاع منطقة السار لسلطة عصبة الأمم. و فرضت عليها أيضا بنود

عسكرية تجلت في ضرورة تخفيضها لجيشها و نزع عدد كبير من أسلحتها

و أخير البنود المالية التي زادت الطين البلة، و الكامنة في فرض غرامة

مالية عليها قدرت ب ١٣٢ مليار مارك ألماني.

معلم الطبيعيات : (متساءلا) لكن ! ماهي عصبة الأمم يا أستاذة ؟

معلمة الإجتماعيات : إنها منظمة دولية، مقرها بمدينة جنيف السويسرية، وقد أنشئت بإقتراح

من الرئيس الأمريكي ويلسون، سنة ١٩١٩ ، هدفها حفظ حقوق الإنسان و ضمان السلم و الأمن العالميين.

معلمة الفزياء : (ساحرة) أنت تجهلين الكثير... هناك معاهدات عدة غير معاهدة

قرساي تلك...هناك معاهدات كثيرة...

معلمة الإجتماعيات : حقا ! إذن أخبريني عنها أيها المتضلعة في كل شيء!

معلمة الفزياء : أجل توجد معاهدات عدة خلفها مؤتمر الصلح كما قال الأستاذ، لكنني

لا أتذكر أسمائها فذا كرتي صغيرة و مملوئة بالرموز و الصيغ و القواعد و الخزعبلات التي لا أعلم لما لا أستطيع إستعملها في فضاء آخر غير فصلي الدراسي.

معلمة الإجتماعيات : حسنا لا بأس...توالت بعد مؤتمر الصلح معاهدات عدة، أبرزها معاهدة

سان جرمان سنة ١٩١٩ م. التي تعلقت بالنمسا، إذ تم ا فصلها عن هنغاريا

و الاقطاع من أراضيها لصالح الدول المنتصرة. و معاهدة نوي التي

حوت بعض من بنود الاقطاع من هنغاريا، و أخيرا معاهدة سيفر، التي

أنهت تاريخ الإمبراطورية العثمانية الملحمي سنة ١٩٢٠ م، إذ تم تفكيكها

و تقاسمها كالكمكة بين الدول المنتصرة، وإخضاع المشرق العربي
للإنتداب الفرنسي و البريطاني.

معلمة الفزياء : (ساحرة) هذا مخربط جدا، لم نعد نستوعب غرض قولك لكل هذه
الأشياء...؟

الأستاذ : كل ما تقوله بغرض إثبات أن ألمانيا مذنبه، التي إدعيت أنني بريئة
معبرة عن رأيي، وعليه توصلنا الآن إلى أن الحرب العالمية الأولى
لما إنتهت كانت النتيجة إنتصار الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا،
بريطانيا وإيطاليا على النمسا وألمانيا و هنغاريا.
مما جعل الدول المنتصرة تملك التحكم بالقرار و المخرجات المتعلقة بالدول
المنهزمة عبر عدة معاهدات هدفها تعويض الخسائر البشرية و الطبيعية
و ضمان السلم العام.

معلم اللغة الإنجليزية : (مفكرا) لقد كان لتلك الحرب أثر عميق على القارة الأوروبية...لقد
ألحقت بها تحولات ترابية و إقتصادية شتى...

معلمة الفزياء : (متباهية) هاه...أعلم ماهي تلك التحولات...إنها بذهبية...الدول
المنتصرة سلبت المنهزمة خيراتها و ثرواتها الطبيعية لتصبح أكثر
قوة، فهذا ما يحدث بعد نهاية الحرب...الطرف المنتصر ينتزع من الطرف
المنهزم غنيمته.

الأستاذ

: لم يكن في الحرب أبدا يوما طرف فائز... كلا الطرفين خاسران... إذ يوجد

دائما طرف ثالث يستفيد من حربهما، ويمكن إعتبره المنتصر الوحيد.

معلمة الاجتماعيات : حكمة في محلها يا أستاذ، أما التحولات التي طرأت على القارة العجوز بعد

الحرب العالمية الأولى فهي تحولات جذرية و شاملة. وهي نوعان؛ ترابية

تتجلى في تغير خريطة أوروبا؛ حيث توسعت الدول المنتصرة على حساب

الدول المنهزمة، وإختفاء عدد من الإمبراطوريات، كالإمبراطورية الألمانية

و النمساوية و العثمانية و غيرها، لتظهر مكانها دول جديدة كبولونيا و

تشيكوسلوفاكيا. و إقتصادية كتراجع مكانة أوروبا في التجارة العالمية، و لجوء

دولها للإقتراض لتغطية حاجياتهم الأساسية مما أدى إلى تراكم الديون

عليهم، الشيء الذي زاد الطين بلة، وفي المقابل نجد إنتعاش الاقتصاد

الأمريكي و الياباني الذان إغتتما فرصة الإنحطاط الصعبة التي تعاني

منها أوروبا للإزدهار و تطوير إقتصاديهما.

الراوي

: بعد ألفتين ممتدتين إستطاع المدرسون وضع أرجلهم في العاصمة أخيرا،

غادرو المحطة مرتبكين متوترين، تولى الأستاذ القيادة، فأقترح عليهم

أن يستريحوا أولا في مطعم قريب ويتناولوا شيء ما، رفضت الأغلبية

و قرروا على الفور أخذ حافلة كي تقلهم إلى المكان المراد. بدى فيما بعد

أنه الخيار الأنسب، كانت ذكرى عيد المدرس الوطنية، مما مهد لهجة

لا يستهان بها أثناء اللحظات القليلة قبل الانضمام للمهرجان، علاوة على
الطرب الغناء في الحافلة، الشيء الذي زادهم سرورا على سرور، وروائح
العطور، كلها كانت سببا في مغادرتهم لكياناتهم الواعية لبعض الوقت.
مرت ساعة على ركوبهم الحافلة وها قد توقفت الآن إثر الإزدحام الشديد
الذي لم يُعرف سببه بعد، نزل الأساتذة مصممين على المتابعة سيراً، فلم تمضي
بعض دقائق حتى لحظوا مشهدا غريبا صاحبا أمامهم على بعد أمتار فقط،
كشيء مُروّع يحدث هناك، لم يتعين بعد أي من الأساتذة ماذا يجري.
ركضوا قليلا ليميزوا جموع كثيرة بل كما لو أنه ظهر أو مؤخرة جيش عظيم
يشن هجوما دمويا، إنه لمنظر مرعب جدا و فائق الخطورة، لم يعد الأستاذ
يفهم ما المغزى من كل هذه الفوضى والهرج، ألم يتفق جميع معلمي و
معلمات المؤسسات التعليمية على القيام بمهرجان سلمي يكرمون فيه الوزارة
على سخائها و تقفها بهم عن طريق بعض الأناشد و النشاطات الجميلة و
الحسنة التي قد تساعدهم هي الأخرى في الترويج عن السعادة الحادة التي
إبتلتهم منذ بضعة أيام. لم تكن هناك حيلة للعبور و رؤية ماذا يحدث في
الأمام، فالإكطضاد و الازدحام المفرطان يشلان أي محاولة تقدم، إذ يمتد
جيش المعلمين الثائرين ذاك إلى مايقارب الثمانئة متر وعرضه يعمر الطريق
الوطني بالكامل و الرصيف كذلك، كان يتوجه ببطء نحو مركز وزارة التعليم.

بدأ أساتذتنا يحملقون في ذهول و دهشة شديدين، فإغتم الأستاذ لحظة الصمت تلك ليقترح أن يشربوا بعض من عصير البرتقال عند بائع متجول هناك، لم يرى أحد مانع مادام الإزدحام لا يزال قائماً، فوافقوا وإتجهوا نحو بائع العصير. تناول كل واحد كأسه بيده، ماعدا أنهم إستمروا واقفين فالبائع ليس لديه كراسي للجلوس.

معلم اللغة الإنجليزية : هل تعلمون بماذا يذكرني هذا المشهد؟

معلمة الفزياء : الحملات النظالية...؟

معلم اللغة الإنجليزية : لا!

الأستاذ : الثورة الفرنسية ؟

معلم اللغة الإنجليزية : إقتربت ...

أستاذ اللغة العربية : (يحتسى جرعة عصير)أظن...الثورة الروسية ؟

معلم اللغة الإنجليزية : تماما ! إنه كالثورة الروسية عام ١٩١٧م.

معلمة الفزياء : بالمناسبة، ماذا كان سبب تلك الثورة ؟

معلمة الاجتماعيات: كان لها عدة أسباب...أسباب سياسية كإستبداد القيصر نيكولا ٢، الذي

كان حاكما مستبدا قاسيا ظالما لشعبه، إذ جمع كل السلطات، مما ولد

في النهاية معارضة سياسة له.

معلم التربية الدينية : هذا ما قلته سابقا، فالحاكم إذا كان ظالما لشعبه إعترضوه و أكنوا له الضغينة.

معلمة الاجتماعيات : أجل...و كانت لها أسباب إقتصادية و إجتماعية أيضا. تجلت في إرتفاع الأسعار، قلة المواد الاستهلاكية و إنخفاض الأجور، مما أذى للبطالة و الإضرابات.

معلمة الفزياء : لكن ما الذي جعل الأوضاع تحول إلى تلك الحال؟

معلم اللغة الفرنسية : (بوجه إسمتي) تسلط الحاكم الفاسد و الطبقة المهيمنة.

معلمة الاجتماعيات : كما أن هناك أسباب عسكرية أذت هي الأخرى إلى إندلاع تلك الثورة كمشاركة روسيا في الحرب العالمية الأولى دون أدنى إستعداد عسكريا لها، مما حملها خسائر بشرية و مادية هائلة .

معلم الرياضيات : (متساءلا) وكيف قامت تلك الثورة...؟ أقصد كيف حدثت في ظل هذه الأسباب و من الذي مهد لها؟

معلمة الاجتماعيات : لقد مرت الثورة الروسية بمرحلتين. الأولى كانت في فبراير ١٩١٧م، إذ قامت على مظاهرات نسائية و عمالية، ثم حدث و لحقتها إنتفاضة الجنود فيما بعد، فصار لها طابع سياسي، إستطاعوا الإطاحة بالقيصر و تأسيس حكومة بروجوازية مؤقتة.

معلبة الفزياء : (مندهشة) ماذا! لكن كيف؟... كيف إستطاعوا ذلك؟

معلم اللغة الفرنسية : (ممتعضاً) ياله من سؤال... ألم تقرأي أو تسمعي بقصة "في الإتحاد قوة"

معلبة الفزياء : لا!

معلبة الإجتماعيات : إذن عليكى أن تقرأيها... أما المرحلة الثانية فكانت في أكتوبر ١٩١٧م

حيث وقعت الثورة البلشفية وقد لقت بهذا الإسم لقيام البلاشفة بها.
تمكنت من الإطاحة بالحكومة .البورجوازية، التي لم تكن عند حسن الظن
و تم تأسيس حكومة إشتراكية تزعمها لينين ...

معلبة الفزياء : (مستشكلة) لكن من هم البلاشفة ؟ ومن يكون هذا المدعو لينين؟

الأستاذ : البلاشفة هم أعضاء الحزب البلشفي، أحد أحزاب روسيا، وقد كانوا
لا يؤمنون إلا بالثورة، كوسيلة لبناء نظامهم الإشتراكي. أما لينين فهو زعيمهم
الذي قادهم إلى تأسيس الحزب العمالي الإشتراكي الديمقراطي الروسي.

معلبة الإجتماعيات: وقد إعتد لينين سياسة شيوعية الحرب، المتجلية في مصادرة فائض إنتاج

الفلاحين الفقراء لتدعيم الأجهزة العسكرية، لكن سياسته هذه أخفقت
إقتصاديا بسبب إرتفاع الأسعار و قلة المواد الغذائية، فقرَّرَ إعتقاد سياسة
جديدة، جمع فيها بين النظام الإشتراكي و الرأسمالي .حيث توقف عن
مصادرة فائض إنتاج الفلاحين، و إكتفى بفرض ضرائب مالية عليهم فقط.

معلمة الفزياء : وهل إستطاع بعد ذلك أن يحسن الظروف الإقتصادية في روسيا أم لا ... ؟

معلمة الإجتماعيات : (متبسمة) بالتأكيد نجح في ذلك! لكن الحظ لم يقف إلى جانبه طويلا، فقد وفق في إتخاذ الإجراءات اللازمة و القرارات الصائبة، لكن المنية وافته بعد ثلاث سنوات فعوضه بذلك ستالين الذي إستمر في السير على نهجه، نهج السياسة الإقتصادية الجديدة، لكنه تركه في سنة ١٩٢٨ ليعتمد سياسة أخرى لقبته بالمخططات الخماسية.

معلمة الفزياء : (متساءلة) ماذا ! و ماهي هذه السياسة؟

الراوي : في تلك اللحظة إنتبه الأساتذة إلى فجوة أحدثت في جيش المعلمين الرهيب...

لقد أحدثها بائع مثلجات بعربته، كان يتقدم وسط الحشود بصفارته فيفسحوا له الطريق، إغتم أساتذتنا تلك الفرصة فركضوا ورائه ليلبغوا المقدمة و يتبينوا ماذا يجري هناك. رويدا رويدا حتى بدأوا يسمعون أصوات عالية، مرتبة، إنها للمؤثرين و المنسقين. و ما إن إقرب الأساتذة من الوصول لرأس الجيش حتى لحظوا تواجد حاجز من الجنود المقنعين يحملون درعا من الكرتون و مكنسة يهشون بها على الجموع لكي النائرة تتراجع.

لكن حدث أن أمرا أخر جعل أساتذتنا يصابون بصدمة قوية ...

صدمة من العيار الثقيل، لدرجة أن أحدهم قد سُتت رجلية، فسقط

أرضاً مرتعدا من شدة الفزع...

لقد شاهدوا أستاذ التربية البدنية يحمل بيده بوقا ضخما يهلل فيه بأقصى ما

تستطيع حباله الصوتية وقواه الخنجرية، مستثيرا و مستهدفا بذلك غضب

الحشود و حقدھا على وزارة التربية... لم يصدقوا أبدا أعينهم، أهذا نفس

الشخص الذي رأيناه يلقي حتفه أمام ناظرينا... لقد ظلوا جامدين في

أماكنهم يحملقون فيه لبرهة، ثم لمحهم، فهم يتقدم بإتجاههم مستعجلا مهرولا

و قد تسارعت دقات قلوبهم...

معلمة الفزياء : (خائفة ومختبئة وراء أحدهم) بسم الله الرحمن الرحيم!

بسم الله الرحمن الرحيم!

معلم التربية البدنية : (وصل وهو يتسم بأسنانه) زملائي المدرسين! كيف وعيكم؟

هل ستشاركون في الحملة النضالية؟

معلم الرياضيات : لكن كيف؟ ... ألم تمت! ألم تفارق الحياة؟

معلم التربية البدنية: (يستطرد عابسا) لا! المجانين لقد قاموا بدفني حيا أرزق، لقد كنت فاقدًا للوعي فقط و الأطباء المغفلين شخصوا لي سكتة دماغية لعدم توفر أي جهاز لقياس دقات القلب بالمستشفى المغربي، فحين إستعدت وعيي كنت في قبوري شعرت بثقل التراب و بأني مكبل، فبدأت أحاول التحرر من الكفن، نجحت في ذلك بفضل جسدي القوي ثم بدأت أقتحم و أسبح للأعلى داخل أطنان من التربة المهشة إلى أن خرجت، لكن الكارثة أني كنت عاريا تماما. فإستغرق الأمر مني بعض الوقت لتدبير شيء ألبسه و أكله. ثم سمعت بما حل بمعلمي المملكة من نوبات سعادة و فرح شديدين و أنهم قرروا الخروج اليوم للتعبير عنها وهكذا...الفجر وجدني أتبول على شجرة الزنباع تلك التي هناك... منتظرا قدومهم لأجعل منهم جيشا صلبا عابرا للأسوار...

معلمة الفزياء: (تضحك بهستيرية) هل تظننا في الثورة الروسية... (لا زالت تضحك) هل تعتقد نفسك لينين...؟

معلم التربية البدنية: لينين! هاه... بل أنا هتلر! و سأوجه هذا الحشد الغفير من المدرسين لإسقاط مركز الوزارة النكراء ذاك ، فقط دقائق و سندوس على أوجه هذه الجنود المقنعة الساذجة...

معلم اللغة العربية : لكن لما؟ ألا تعلم أن الوزارة كرمتنا بشكل لا يصدق في النظام الجديد الذي أصدرته؟

معلم الرياضيات : أجل! لقد منحتنا تعويضات خيالية و تسهيلات كبيرة في الترقية و العديد من النعم التي لا تعد و لا تحصى.

معلم التربية البدنية : (متمعضاً) مغفلون! ألم تدركوا بعد نواياها الشريرة تلك؟ لقد جعلت لكم جميع تلك المكتسبات لتفسد مساركم المهني!

أستاذة المعلومات : (مندهشة) لتفسد مسارنا المهني؟ كيف ذلك؟

معلم التربية البدنية : ألم تلاحظوا أنكم بدأتم تتهاونون و تتقاعسون، و تضيعون الكثير من الوقت في اللهو؟

الأستاذ : أتفق معك! أول مرة تقول شيئاً صائباً. فأنا نفسي لم أعد أبالي بتدريس طلابي، لقد صرت أنضم كل مرة لقاعة الأساتذة أحسني الشاي و أتناول الحلويات اللذيذة.

معلم التربية الدينية : معك حق، قال تعالى إنما أموالكم و أولادكم فتنة! وقد فتننا تلك المداخيل الجمي فعلا عن أداء الواجب.

معلمة الاجتماعيات : (متوثرة) لكن ماهو الحل؟

معلم التربية البدنية : الحل هو أن يسحب ذلك النظام الجديد و تتم إزالته، ولكي تحقق هذه الغاية ما عليكم سوى أن تتبعوني.

معلمة الفزياء : أي تعليمات و نحن و وسط هذا الكم الهائل من المدرسين الثائرين، كيف عسانا نقوم بأي شيء ؟

معلم التربية البدنية : أنظري! أنا لدي هذا البوق الضخم، سيكون مفيدا جدا لنا إذا علمنا كيف نستخدم.

معلمة الفزياء : (تضحك ساخرة) ماذا هل ستبدأ الصياح مرة أخرى كالمجنون...أنا لست متفرغة لهذه المهزلة...سأذهب لإستنشاق بعض الهواء النقي... و تناول شيء ما، أنت شخص حالم و جاهل بشكل لا يطاق...

الراوي : حذق أستاذ التربية البدنية فيها للحظة، ثم سحب شيء من تحت بنطلونه، شيء يشبه السكين، ثم إنقض عليها كاليث المسعور، أمسكها من الخلف و رفع رأسها بقوة إلى الأعلى بيده اليسرى ثم ذبحها ضاغطا السكين الحادة على عنقها من الوريد إلى الوريد بيده اليمنى. بعد ذلك ألقاها أرضا رجلاها تترنحان، جسدها يرتعد، و دمائها تسيل بغزارة من الفتحة التي أحدثها السكين.

كان كل ذلك قد حدث في رمشة عين، فصرخت معلمة الإجتماعيات
صرخة مدوية ذابت وسط ضجة الحشود، فحل على أساتذتنا الفرع الأعظم
لم يفهموا ماذا بهم و ماذا عليهم، فبدأوا يعيدون برمجة ما حدث و محاولة
إدراكه، لكن الأمر إحتاج أكثر من خمس ثوان لتجاوز تلك الصدمة،
فإرتقى أستاذ اللغة الفرنسية و اللغة العربية على المجرم ليبدأ في مقاومتها
بشراسة...

الأستاذ : (يستثير غضبا) أيها الوغد! ماذا فعلت ؟...لقد سلبت إنسانا حقه في الحياة!

معلم التربية البدنية : (يضحك) ها ! ها ! هذه الحشرة ؟ هل ترى هذه الحشرة إنسانا...؟

إنكم لجميعا مجانين، هذه لم تعد إنسانا منذ زمن، فليس لها وعي بذاتها
إطلاقا، ليس لها مبادئ أو قيم، ليس لها عفة أو كرامة، إنها نوعية
كالشيء، بل في مرتبة أدنى من الشيء، إذ هناك أشياء مفيدة على الأقل
أما هذه ففجرد جرثومة ترسبت من تجارب العلوم، لسنا في حاجة لها.

معلمة الإجتماعيات : (تبكي في حرقه) لقد كانت معي على إنفراد ذات مرة، فأخبرتني أنها لم

ترغب قط في شعبة العلوم حين كانت تلميذة، لكن أمها أرغمتها على ذلك
و أجبرتها... ربما ذاك هو سبب فقدانها الوعي بذاتها و تحولها إلى ماكينة.

معلم اللغة الإنجليزية : لقد إقترفت أشنع جرم يا حثالة المجتمع...لقد أزهدت روحا !

معلم التربية البدنية : (يزجج في إحتقان) أنا حثالة ! هاه بل أمثالك و من لهم نفس رأسك هم

الحثالة...إن الموت لمصير البرازات من قبيلها، إنها لكما قالت معلمة

الإجتماعيات كالما كينة.

معلمة الإجتماعيات : (لا زالت تبكي) كلا! لم أقصد ذلك...إنها صديقتي...

معلم التربية البدنية : بل قصدي! أنا أتفق معك، إنها وسخة ليس لها دماغ أبدا...هل تعلمون ؟

كنت دائما ألاحظ أستاذة العلوم يفتقرون إلى الرجاحة، عكس أستاذة

الأدب الذين يفيضون بها. ولا أعرف السبب، لكن الآن توضح لي جيدا...

أستاذ اللغة العربية : (يضغط عليه ممسكا إياه بقوة) أي دناءة تتحدث بها ! بعد أن أرسلتها لحتفها

بيديك الحقيرتين، تتجرء و تبرر فعلتك بكل وقاحة...

معلمة الإجتماعيات: (تكفكف دموعها) أنا دائما أحاول شرح الأمور لها و تفهيمها بعض

الأشياء، لكن ... إنها ليست طبيعية...إنها لا تجيد سوى الثثرة في

أمور عامية غير مهمة و غير ذي فائدة...أحيانا أعتقد حقا أنها لم

تعد ذاتا واعية، بل وعاء لمعارف محدودة محفوظة في بطاقة ذاكرتها.

معلم الرياضيات : (متعجبا) لكن هذا أمر عادي ! فهي أستاذة لمادة الفيزياء، و كل ما

تحتاج معرفته هو ما يتعلق بمادتها...مثلي أنا! فأنا معلم رياضيات، و كل

ما أعرفه و ما يجب علي أن أعرفه يتعلق بمادتي. أليس هذا منطقيًا؟

أستاذ التربية البدنية : (يقهقه بصخب) يالك من خردة ! كنت متأكدًا ! شعبة العلوم لن تنتج

سوى أشباه الذوات الواعية، أشباه الرجال، أشباه النساء و أشباه

البشر عامة. أليس من الحمق و النتانة إعتقاد علم أو معرفة معينة بشكل

أقصى، و لاسيما لو كانت ساذجة سطحية تتعلق بالحجارة و السوائل،

بالأرقام و الرموز، ببراز الكائنات و أوراق الأشجار. وبعدها إغلاق أي باب

من أبواب المعرفة النافعة التي من شأنها أن تبعث نور العقل و تعيد وعي

الذات بالذاتها.

معلم التربية الدينية : (ربع يديه عابسا) لازلت تتماذى في تعليل جرمك يا عدو الله...هو الذي

سيحاسبك على ذنبك العظيم...و هو وحده يعلم خاتمتك.

الأستاذ : (يخاطب المجرم) أفهم وجهة نظرك ! لكن هذا لن يعفيك من الوقوف

في محكمة العدالة والخضوع أمام القانون.

المجرم : (بيتسم) بلى ! هذا ما لا مفر منه، لكن دعونا أولا نكمل ما بدأناه من

ملحمة نضالية...

معلم اللغة العربية : (منفعلا) ماذا ؟ أتصغون إلى هذا المختل عقليا ! فلتذهب للجحيم، لن أترك
إلا في قعر أسوء زلزلة على عمق الأرض، تلك التي تملأها الجردان و الذباب، و
تعلوها شبك العناكب الضحلة، وتفوح منها رائحة الجيفة، لتقضي أنذل سنوات
عمرك و أحقرها تتعفن خلف قضبان السجن القذرة.

معلم اللغة الفرنسية:(عابسا) معك حق، إنه لمجرم سفاح قاتل الأرواح، يظن نفسه داهية بمراوغاته
هذه...نحن نعلم أن همك فقط الحصول على فرصة للفرار من العقاب...و
تتحدث عن النضال أمامنا كما لو أننا لانزال نقضم أضافرنا...

الأستاذ : (يحقق بالمجرم) مجرم مثلك لا يليق سوى إعدامه بطريقة قطع الرقبة...إذ ما
إقترفته يعد تجاوزا و تمردا على الأخلاق، بل لمن أفضع و أبشع الخطايا
التي يرفضها المجتمع و القانون و الدولة ويعاقبون عليها أشد العقوبات وأقصاها.
(المجرم يرسم إبتسامة باهتة إشارة لعدم مبالاته بأقوالهم)

معلم الرياضيات : (حائرا) إنه يتفوه بالحماقات...لكن هل هو حقا من إستثار غضب كل
هذا الوفد من الأساتذة...إنه لشيء يصعب تصديقه.

المجرم :(يضحك في سخرية) بلى أنا ! أنا !...فل يتركني هذان التنتان و سأوجه أعظم
توجيه هذه الجموع لتسقط راية الوزارة اللعينة تلك...راية الشر و المكر، راية
الطمع و البخل، راية الدنائة و الذل. إنها الجريمة الحقيقية لست أنا...

أنا حليفكم، إسمعوني يا مجانين! إنها تحاول إستعبادنا! ونحن لسنا عبيدا، يجب أن نبرهن لها ذلك، يجب أن نجعلها تعيش الرعب الحقيقي... وهذا فقط بيدي!... أجل! بيدي أنا... فأنا وحدي من إستطيع قيادة جيش الكرامة هذا، إنني الصواب عينه، إنني الأمثل (يصيح في إنفعال)

فلتتركاني يا وغدان! إذا لم تفعل ذلك الآن، سوف ينتهي كل شيء... كل شيء!... سيترجع الوفد إثر ترهيب الجنود الملاعين و ستعودون أدراجكم هزيلي الثقة بالنفس، هزيلي الروح، هزيلي العرض، هزيلي الحلم، هزيلي الكرامة و الشرف... ستخسرون! ستخسرون بلا ريب إن لم تطلقوا صراحي الآن، فأنا الوحيد القادر على تغيير تلك النتيجة المحتومة.

معلبة الإجتماعيات: (دامعة و مثيرة للشفقة) أنت ترى نفسك هتلر! وأنتك تخوض حربا عالمية

ثانية! وأنا جيشك الوديع، الذي سينفذ أوامرك و يطيعك في سبيل إرضاء جنونك و هوسك بسفك الدماء و القتل، لكن كن على يقين أن هذا لن يحصل أبدا!

المجرم: (مشمئزا) ساذجة مثلك ماذا عساها تفهم في القيم الأخلاقية و الحفاظ

عليها...أسفاه!... لا أدري لما أنا هنا ضمن مجموعة من كبار المغفلين؟

معلم الرياضيات : (مستفسراً معلمة الاجتماعيات) عادةً ما كنت أسمع عن الحرب العالمية

الثانية و المدعو هتلر، لكنني أجهل تماماً أسباب تلك الحرب و كيف
نشبت، أردت لو كان بوسعكي أنتخبيريني بالقليل عنها من فضلك.

معلمة الاجتماعيات: إنها حرب كونية وقعت في الفترة الممتدة بين سنة ١٩٣٩م و ١٩٤٥م،

بين دول الحلفاء و دول المحور. وكان من أبرز الأسباب المسؤولة عن

إندلاعها ؛ بنود معاهدة فرساي القاسية و المحجفة لألمانيا، و التي

وضع هتلر نصب عينيه حينها هدف التخلص منها جميعها بعد وصوله

للسلطة، فقد أعطى وعدا للشعب الألماني بإعادة الإعتبار لوطنه. أما

السبب الأخر و المساهم في نشوبها، فهو أزمة ١٩٢٩ الإقتصادية

العالمية، و التي رافق ظهورها الأنظمة الديكتاتورية بأروبا، مما أضعف

الأنظمة الديمقراطية بشكل كبير.

أستاذ الرياضيات : (متعجبا) لحظة! ماهي أزمة ١٩٢٩؟ وهل عاشها المغرب أيضا؟

الأستاذ : (بيدها أعصابه) إنها أزمة إقتصادية، كانت قد بزغت لأول مرة في

الولايات المتحدة الأمريكية، و إمتدت بعد ذلك إلى باقي بلدان العالم

الرأسمالي و المستعمرات.

أستاذ الرياضيات : (مندهش بشدة) لكن...لكن كيف ! الولايات المتحدة كانت قوة اقتصادية عظيمة وقتها...ولاسيما أن تلك الفترة عرف الإقتصاد الأوروبي ترجعا هائلا إثر مخلفات الحرب العالمية الأولى، فأغتنتم الولايات الفرصة المتحدة لتتحكم في السوق العالمي، أليس كذلك؟

معلمة الاجتماعيات : (ممتعضة قليلا) حسنا...إسمع! بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وخسارة أطرافها جميعا رغم فوز أحدهم رمزيا، كان إقتصادهم قد إنهار تماما... الإقتصاد الأوروبي، بعدها كما قلنا سابقا حصل و أن إستفاد الطرف الثالث فقط. مما دعى هذا الطرف إلى التفاؤل و توقع الأفضل بشكل مبالغ فيه، حيث هرولت الولايات المتحدة الأمريكية لتنتج أطنانا و أطنانا من المواد الإستهلاكية و المنتوجات الغذائية بغية جني ثروة طائلة و إفعام إقتصادها أكثر و أكثر و إنعاشه إلى أقصى درجة، لكن ماحدث هو حجة على صحة مقولة ؛ إذا زاد الشيء عن حده، إنقلب إلى ضده. فقد إرتفعت المضاربة بالأسهم في البورصة و أصيب المستثمرون الأمريكيون بالجنون، حيث صاروا يبيعون. و يشترون في الأسهم بشراهة و قلة تفكير، و يقترضون من الأبنك بغية ذلك أيضا...

مما أدى لإنهيار قيمة الأسهم وإفلاس الأبنك بسبب عدم إسترجاعها قروضها، وإرتفاع العرض و تراجع الطلب، إذ تراجعت القدرة الشرائية للمواطنين عامة، الشيء الذي خلق في نهاية المطاف أزمة إقتصادية ضخمة، أما حول إنتقالها للمغرب فهذا أمر من سابع المستحيلات، فالمغرب من الدول النادرة الغير قابلة للأزمات.

أستاذ الطبيعيات : (مقتضب الوجه) مهلا، أذكر أنه كانت هناك ظواهر طبيعية أثرت هي الأخرى في إنبثاق هذه الأزمة... أو كانت نتيجة لها على ما أعتقد !

معلمة الإجتماعيات: عن أي ظواهر طبيعية تهذي ؟ لم تكن للأزمة سوى نتائج مالية كإفلاس البنوك جراء قروضها الغير مسترجعة، و نتائج صناعية، تجلت في إفلاس مجموعة من المؤسسات الصناعية، بسبب الطلب الداخلي و الخارجي المرتفعين عليها. ثم نتائج فلاحية و تجارية.

(هنا قاطع أستاذ الطبيعيات كلمة المعلمة)

أستاذ الطبيعيات : هذه هي ! النتائج الفلاحية للأزمة...هي نفسها المظاهر الطبيعية التي ذكرت لما تعقدين الأمور؟

معلمة الإجتماعيات: (تمسك رأسها إستنفاراً) إنها ليستا متشابهتين ! فالنتائج الفلاحية شيء و

الطبيعية شيء آخر، أصلاً أنا ذكرت النتائج الفلاحية و التجارية، و اللتان تمثلتا في إنهيار و تراجع الأسعار و المنتجات الفلاحية بسبب إرتفاع حجم الإنتاج، الشيء الذي مهد لسقوط الإقتصاد الأمريكي في بئر التأزم العميق.

معلم الرياضيات : لحظة! لحظة! هل تقولين أن إرتفاع الأسعار جاء بسبب إرتفاع الإنتاج...؟

أوليس إرتفاع العرض يعود على الأسعار بالإخفاض و ليس الإرتفاع.

معلمة الإجتماعيات : (تنظر إليه بإستخفاف) بل إرتفعت الأسعار و ما إنخفض هو القدرة

الشرائية للمواطنين...إسمع...مثلاً هناك قرية صغيرة، في هذه القرية يوجد خمس عائلات في كل عائلة رب بيت فلاح، ماحدث أن جميع هؤلاء الفلاحين قاموا بإنتاج نفس المنتج بقدر كبير، وحين أرادو بيعه لم يكن في وسعهم الربح قطعاً منه، كيفما كان ذلك الخيار الذي سيتبعونه في بيعه، وفي الأخير قررو رميه و إتلافه نكحيار سيان يدخل ضمن خيارات الخسارة المرجحة الأخرى.

لكن، الفرق في هذا الخيار أن لا أحد سيستطيع الربح من وراء جهودهم بإعادة بيع منتجاتهم أو حتى إستهلاكها بعد شرائها بالثمن الذي أراده، وبذلك سيكون بوسع هؤلاء الفلاحين الإنتاج...لكن بعد فترة ما، أي بعد إنقضاء الأزمة التي كان لهم يد فيها، و سينتجون بعدها بنسب معقولة تمكنهم من الربح.

معلم الرياضيات : كيف ؟ لقد قلتي أزمة إقتصادية عالمية، هل صارت يا ثرى تتعلق الآن بالولايات المتحدة فقط أم ماذا...؟

معلمة الإجتماعيات: كلا! بل إنتقلت منها إلى دول العالم. لقد حدث ذلك بفعل الإرتباط المالي والتجاري الذي كان بين الولايات المتحدة و الدول الأخرى، مما دفعها أيضا لسحب رساميلها منهم وإسترجاع قروضها، خصوصا من أوروبا. إذ نهجت هي و باقي الدول سياسة الحمائية، المتجلية في رفع الضرائب الجمركية على الواردات و الصادرات، وذلك كله بدأ منذ سقوط البورصة الأمريكية لول ستريت يوم الخميس، مما دق ناقوس الأزمة الغير مسبوقه في تاريخ العالم أجمع.

أستاذ الرياضيات : (متعطش للمعرفة) أخبريني! أخبريني عن أسباب أخرى غير الأزمة

الإقتصادية لسنة ١٩٢٩م أذت لإندلاع الحرب العالمية الثانية.

معلمة الإجتماعيات: (يدهشها جهله) أجل! وهناك أسباب أخرى! كسقوط عصبة الأمم، التي

لم تعد تقوى على حل أي نزاع بين الدول، إثر تفاقم الأنظمة

الديكتاتورية التي تنهج السياسة التوسعية، وهي سياسة كان قد نهجها هتلر

في ثلاثينيات القرن العشرين. مما أعجز العصبة و أذى لإنسحابها لتبدأ

دول المحور؛ ألمانيا، اليابان وإيطاليا بالتقارب ...

معلم الرياضيات : (يحك رأسه حائراً) أنا أصلاً أجهل ما عصبة الأمم هذه، هل هي دولة

أم مجموعة من الدول؟

معلمة الإجتماعيات : إنها منظمة دولية تقع في سويسرا، أسست عام ١٩١٩م، كانت تسعى

لحفظ حقوق الإنسان ونشر السلم بين البلدان، لكنها إنهارت جراء إحتدام

النزاعات التوسعية كما قلت ... ومع ذلك فيبقى شيء مهم عليك أن تعرفه ...

معلم الرياضيات : (متحمساً) ماهو؟ ماهو هذا الشيء؟

معلبة الإجتماعيات : في الواقع، هذه الأسباب لا تعد الرئيسية في نشوب الحرب العالمية الثانية؛ فالسبب المباشر وراء إندلاعها هو غزو ألمانيا لليونان في سنة ١٩٣٩م، في سياق سياق سياستها التوسعية التي كان يهجمها هتلر على حساب البلدان الأخرى، مما جعل فرنسا وبريطانيا تستيقظتان؛ منتبهتان لخطر إقتراب سفينة العدو نحوهما، فأعلننا الحرب على ألمانيا و شركائها، وبذلك تكون نار الحرب قد اشتعلت، ورياح العاصفة قد هبت ولم يبق سوى نثر ذلك اللون القرميزي في كل بقاع الأرض لينعكس على لوحة السماء الصافية.

معلم الطبيعيات : (يعبث بأنفه) يبدووا لي أن الأحداث صارت مشوقة ها هنا...

معلم الرياضيات : (قافزا من مكانه) وبعد! وبعد! لمن كانت الغلبة؟ هيا! أكلي!

معلبة الإجتماعيات: بكل سرور! أولا، بعد إعلان الحرب رسميا، ما حدث أن ألمانيا طارت فرحا كما لو دعيت لحفل زفاف، فبتدأت حينها أول مرحلة من الحرب العالمية الثانية، والتي إمتدت من عام ١٩٣٩ إلى ١٩٤٢م، وفي هذه المرحلة تمكنت ألمانيا و حليفاتها إيطاليا و اليابان من تحقيق عدة إنجازات.

إذ توسعت في فرنسا و بريطانيا محتلة ثلث مساحة فرنسا، و توغلت شرقا
في الإتحاد السوفياتي و ظلت تنبش في الجوار دون توقف، أما إيطاليا
فإقتحمت حرمة اليونان و جنوب فرنسا بعد هزيمتهما شر هزيمة، كما
إشتبكت مع إنجلترا أيضا. أما اليابان فتحمست كثيرا بفعل العروض
الباهرة، فلم تقاوم هي الأخرى و نهضت تقصف قاعدة عسكرية
أمريكية كانت في المحيط الهادي، مما جلب الويل عليها و على شريكها
فيما بعد (قاطعتها أستاذة المعلومات)

أستاذة المعلومات: عذرا! لكن أنت تقولين أن ألمانيا جاءت و شرعت تحتل فرنسا و بريطانيا
كالزبدة و العسل... كيف ذلك؟... إنه لأمر غير منطقي.

معلمة الاجتماعيات: ما الذي ليس منطقي؟...ربما تجهلين القوة العسكرية التي إستحوذت عليها
ألمانيا في ذلك الوقت، إن هتلر لم يكن يعر إهتماما حينها لأي قطاع
أو مجال باستثناء العسكري منها، صناعة الأسلحة و تجهيز الجنود، لقد كان
لا يبصر سوى ما هو حربي... فعند إعلان الحرب، إنشرح صدره فرحا.

أستاذ الرياضيات: (متسرعا) أجل! أجل! أكلمي؟

معلمة الإجتماعيات : (مترتبة) حسنا! قلت أن اليابان قامت بقصف القاعد الأمريكية...وهي لا

تعلم أن ما فعلته هو إيقاظ الذب الكبير من بحره، فقد إنضمت إثر ذلك

الولايات المتحدة للحرب في صف دول الحلفاء؛ أي فرنسا و الباقون.

فبدأت حينها المرحلة الثانية من الحرب، و الممتدة من سنة ١٩٤٢

إلى ١٩٤٥، والتي تغيرت فيها الموازين بشكل مفاجئ...إذ إنهزمت ألمانيا

شرقا من طرف الاتحاد السوفياتي، و غربا من طرف فرنسا و بريطانيا،

الشيء الذي أكرهها على الاستسلام ١٩٤٥ م سنة.

معلم الطبعيات : (مستغربا) الاتحاد السوفياتي! لكن مادخله في الحرب ؟ أليست

الولايات المتحدة الأمريكية هي من إنضمت؟

معلمة الإجتماعيات : بلي! لكنها دخلت لتصفية حسابها مع اليابان التي عنتها بالهجوم، أما الإتحاد

السوفياتي ففي المرحلة الأولى من الحرب ذكرت أن ألمانيا إحتلت شرقه

و إستمرت تتوغل فيه لأزيد من سنتين، حتى المرحلة الثانية، والتي كان

فيها الجيش الألماني قد إحتدمت بينه و بين الجيش الروسي معارك، و روسيا

هذه ذات جو بارد و قارص، لم يستطع الجنود الألمان تحمله، عكس جنود

الروس، الذين يعرفون كيف يحاربون داخل ظروف مناخهم القاسية تلك،

الشيء الذي قلب الكفة لصالح الإتحاد السوفياتي.

أستاذ الرياضيات : و الدول المحاربة إلى جانب ألمانيا ماذا حدث لها؟

معلمة الإجتماعيات : خسرت هي الأخرى، فقد لاقى إيطاليا هزيمة نكراء من قبل جيوش الإنجليز في شمال أفريقيا. أما اليابان تعيسة الحظ، فألقت عليها الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتين نوويتين، إستقرتا في أحضان مدينتها نكزاكي و هيروشيما سنة ١٩٤٥م. أودتا بحياة عدد كبير من شعبها.

معلم الرياضيات : (قلقا) هل كان هناك ضحايا؟

معلمة الإجتماعيات: (مندهشة من سداجته) بالطبع كان هناك ضحايا، لقد بلغ مجموعها الخمسون مليون نسمة، إضافة إلى عشرات ملايين الجرحى، المعطوبين، المبتورين و اليتامى. الشيء الذي خفض نسبة النمو الديموغرافي في العالم و رفع بشكل مضاعف نسب التشرد و الفقر...

أستاذة المعلومات : والإقتصاد! كيف بات الإقتصاد في ظل تلك الخسائر؟

معلمة الإجتماعيات: تلك الحرب العنيفة...لقد سببت دمارا عظيما للهباني، المصانع و البنايات، إذ إنهار الإقتصاد الأمريكي بشدة لتوزع بقاع الحرب داخله، أما الولايات المتحدة الأمريكية فإنتعش إقتصادها كما في المرة السابقة، إذ تركت باحتها طاهرة من الأضرار، و سافرت لباحة الجار تراكم فيها الأجار.

معلم الرياضيات : (متلهفا) و المغرب ؟ و المغرب كيف كانت حاله جراء الحرب...؟

المجـرم : (ينفجر صارخا) يا مجانين ! كفى حماقة و ثرثرة حول الهراء اللعين ! الجيش

بدأ ينسحب و المعركة لن تكون لصالحنا هكذا...ستندمون شر ندم بعد

ذلك يا مغفلين .

معلم اللغة الفرنسية : (يخاطب أستاذ اللغة العربية) هل تأخذه لمقر الشرطة ؟ أظنه قريب من هنا...

معلم اللغة العربية : المشكلة هي كيف سنعبر وسط هذا الوفد الغفير...يبدو مستحيلا حتى أن

تخطوا خطوة، فكيف عساك تخطوها و أنت تمسك بجرم عملاق كهذا النذل.

المجـرم : إني بريء من أي جرم، أما أنتم فذنبون، و ذنبكم هو الأعظم، فقد وقع على

عرضكم وكرامتكم، وإن لم تتحركوا قبل فوات الأوان فلن تتمكنوا من

إستراجعهما أبدا، وإلى الأبد ...

الأستاذ : (يمسك رأس المجرم بين يديه بقوة) أنظر إلي !... تراني صحيح، كرامتنا محفوظة

في برّ الروح الأخلاقي، الروح التي هجرت كيانك النجس، كيانك الدنس، هل

تدري أن مروءتك بالكامل قد سكبت على عرض الأرض حين سفكت أول

قطرات من دم ذات فاقدة للوعي بذاتها. لقد أخصيت روحك بيدك وأسفاه...

(هنا بدأ المجرم يذرف الدموع و يصرخ بغصّة فتركه الأستاذان مذهولان من ردة فعله)

معلم الرياضيات: (يضحك في صخب) ها!ها!ها!... يا الله على هذا المشهد...ها!ها!...!

هل مات جدك...هاهاهاها...هل تريد منديلي...؟

الراوي : و المجرم في خضم محنته العاطفية و دموعه البادية فقعت قهقهات أستاذ

الرياضيات فقاعته الهائمة تلك، فإستطرد حاله باحثا عن مصدر الصوت

بعينه الدامعتين، ليتبينه، فإندفع بسكينه الحادة كالبرق ليشق صدر المسكين

قاطعا ضحكه، طاعنا مخترقا قفصه الصدري، فما إن توقفا جامدين مكنيها

صرخت الضحية صرخة ألم مدوية ثم شهقت شهقتها المتقطعة الوفاية،

فهوت على السماء محلقة مع كم كبير من الجدور و الكسور التي بالتأكد

ستكون ذات فائدة لها فيما بعد. لكن أستاذنا فاض كأسه حينها، إذ

إنقض على المجرم ممسكا إياه من تياب عنقه راكلا إياه بقوة فأسقطه

أرضا و هم في لكمة بكل ما أوتي من وحشية، حاول الأساتذة فراقهم،

فكان الأمر عسيرا أقرب للمستحيل، إلا بعد تشنجات و تشابكات

عنيفة، فحين أبعدها الأستاذ عنه أخيرا، كان ملقا في الأرض على بطنه

كالثعبان السام مضغوط على يديه الدمويتين من قبل أستاذ اللغة الإنجليزية

و أستاذ اللغة العربية.

كان يزجر في داخله . كحيوان شرس متهجم جائع

يريد الفرار.

معلم اللغة العربية : (لأستاذ اللغة الفرنسية وعيناه على وشك مغادرة وجهه) لما تركته

يا مجنون...؟ لما قت بتركه! أنظر ماذا فعل! يا للكارثة! لقد أزهد روحاً

أخرى...

معلم اللغة الفرنسية : (ثائراً هو الآخر) أنا يا ابن الدين! ألسنت أنت من تركه أولاً!... أنت من

يتحمل مسؤولية ما حدث و لست أنا!

معلمة الاجتماعيات: (ترتجف بالكامل) هل قتله؟... هل مات! مات! هل ذهب للبرزخ...؟

معلم التربية الدينية : (مغمضاً عينيه ورافعا رأسه للسماء داعياً مع الميت) فليرحمه الله، لقد

كان أستاذاً لا مثيل له، لا أدري لما الأشخاص الأخيار يتوفون، أما الأشرار

فيبقون...

معلم اللغة الفرنسية : كله بسبب أستاذ اللغة العربية المهمل ذلك! لقد أخبرته أنه من الأحسن

أخذه للشرطة...لقد أخبرته! لكنه أبى...أنتم تتذكرون، والآن ها هي

النتيجة.

الأستاذ

: لقد صاروا جثتين الآن...جثتين ملقاتين تتداعسهما الحشود الثائرة، وليستا في

قبريهما حتى، ليحظنا ببعض الراحة...ما ذنبيهما؟ ماذا فعلوا؟ لقد كانوا أشخاص

ملتزمون، محترمون، مقدرين و يقومون بواجبهم على أكمل وجه. ما ذنبيهما ليلقيا

حظهما على هذه الطريقة البشعة؟ ما ذنبيهما ليصيرا في مثل هذه الحالة الحرجة؟

المجرم

: (يحرك لسانه بين أسنانه المكسرة) لم يكونوا عند حسن الظن! إنهم نوع من

النقص و الرتبة المكروهين، لم يستجيبا أبدا للقيم النبيلة، لم يستوفوا ما يكفي

من المعرفة الصالحة، إنهم كالأخطاء الفادحة في هذا المجتمع، أخطاء من

نتاج التسرع و الإهمال، إنهم ذوات فاقدة للوعي بذاتها إلى حد لا يطاق، و

مهنة التعليم الشريفة غير مرحبة بهذه الإعاقات بثانا، كيف لهم أصلا أن

يتجرؤو ويعتَبوا لسنوات هناك، إن ما أقدموا عليه هو الجرم الأعظم.

فما من جرم أكبر و أشنع من قتل أسراب الوعي السارية في الذوات

الإنسانية الفحلة و الصفحات البيضاء، التي تستقطب حصصهم.

إنهم مجرمون مختلفون و خطيرون، عقوبة جرمهم هي الإعدام و الإقصاء

الجزري...هي إزالتهم و مسحهم و تنظيف المجتمع منهم...و هذا ما قمت

به، أنا المُخلص و قاضي الحق، أنا العدل و القانون، أنا الجامع للقيم

الأخلاقية و المبادئ الإنسانية السامية...

الأستاذ: (ممتعضاً من قوله) أنت جامع الويل و الهول الذريعين، يافاسد العرق و العرض؛

بعد أن سلبت ذوات نابضة بالحياة و الروح صلتها بأناها و غيرها و الكون

كله...لقد قتلهم يا همج! لقد قتلت! لقد إرتكبت العنف المطلق في أسوء

حالاته و أبشعها. ولم تجني شيئاً! لا شيئاً!... سوى إنتظار عقابك الأوخم.

المجرم: (بيتسم لامبالياً في صورة قبيحة) أنا إرتكبت العنف...العنف السيئ...العنف

الممنوع...أم تحبونه العنف المستور...أليس الإنسان يتميز بالعنف حسب ما

كنتم تثرثرون قديماً؟ ألسنت أنت و هو و جميعكم تقترفون العنف؟ أليس العنف

اللعين فطرياً في تركيبتكم المحرمة؟ أنتم المغشي عليهم، أنتم النواقص البدئية، إن

من يعنفكم و يعنف المجتمع بأسره هي الفرقة... الفرقة الفاجرة. إنها وحدها

المذنبه...وحدها تتحمل مسؤولية جل المشاكل و المتاعب، وهي الوحيدة

التي يجب أن تعاقب شر عقاب...والذي سيكون على أيدينا، نحن القادرون؛

إن كل شيء لفي قبضتنا و سنربح جولة الحرب اللعينة هذه لا محالة، فلتصغوا لي!

الأستاذ: أيها المختل المجنون! إن ما تتفوه به لا يغدوا أن يكون سوى الحماقة على أختها،

إنك جاهل بشمس أيلول، إننا لسنا في أزمنة الحرب و الكرب، إننا في

فترة المعاصرة و زمن الحضارة.

فالدولة و القانون هما الذان يسودان و يحكان، إن مجال العنف و الصراعات لم يعد موجودا، لم يبقى له أثر، لقد إختفى و تبخر، لقد ذاب و إنتثر. هل تسمع أيها المجر، فلتستيقظ من سباتك لتقضي عقوبة سجنية مميتة؛ من شأنها أن تفقدك صوابك إذا حدث و إستعدته.

المجرم: (صارخا في إنفعال) أصمت! أصمت! اللعنة عليك! ما خطبكم يا مرفوعون! هل هرع و عيكم و إضحلت بصيرتكم؟ إننا مظلومون! لقد تلاعبوا بنا، لقد خدعونا... يجب علينا أن نكون الوحدة الآن، الوحدة الملتحمة و القبضة الاكمة. و أن نستعيد ماء وجهنا و كرامتنا، إننا على حق و في الطريق الصحيح. يجب أن تفهموا! يجب أن تفهموا! نحن الآن القانون... لقد صرنا نمثله، إننا الحق و القانون و قوتنا في وحدتنا.

الأستاذ: (ينتفض بيديه غاضباً) لا! لا! هذا خاطئ! هذا غير مقبول أبدا! إن العنف لا يواجه بالعنف، إن ما تحاول الإقدام عليه لجرم و معارضة خطيرة للسلطة الحاكمة. هنا يوجد قانون! لقد أخبرتك، ألا تفهم؟ ألا تسمع كلماتي؟ أخبرتك أنه مادام هناك قانون قائم في الدولة لا يجدر بأي أحد مهما كان تجاوزه أو التمرد على مقتضياته بأي شكل من الأشكال. و ما تنويه و تمهد له أنت و شيطانك الآن هو تشريع قوانينكما الخاصة و تطبيقها... وهذا عين الجنون، و إقترافك القتل لسخط أعظم على الأخلاق السائدة و القيم... أنت لا تصلح حقا سوى للمقصلة يا خنزير البركة .

المجرم :

أنت هو خنزير البركة و كلب الفرقة، ماذا يعطونك...؟ العظام! ياللعار، بعت شرفك رخيصاً إذن. إن العنف يا حثالة هو القائم في الدولة و ليس القانون أو الهراء، الدولة المهزيلة...لقد عنّفوها بشدة...كفرنسا الحقيرة مثلاً، ألم تعنّفها شر تعنيف و نهبت خيراتها و ثرواتها، وما من ابن قزم حرك ساكناً أو تجرئ على الاعتراض. لم تكن دولتنا ذات همّة أبداً، و عمرها ستكون مع مختنئين أمثالكم...دولة الضعفاء و المرضى... متى عساه الوعي يسري في سراديب أعصابكم العاصية !

معلبة الإجماعيات:(معارضة بشدة) كلا! هذا غير صحيح بثأنا، تم التصدي للعنف الإستعماري

عبر مقاومات مسلحة عديدة، قادها شجاعان و أباطرة مغاربة معروفون، مثل موحا أحمو الزياتي، عسو أو بسلام و محمد بن عبد الكريم الخاطبي. إن هؤلاء تصدو للإستعمار الفرنسي الإسباني ببسالة و حنكة و تمكنوا من طرده بكل جدارة.

المجرم

: (يهزء) طردوه! طردوه! بل زعتروه! المستعمر العفن لا يزال ليومنا هذا قابع

في وطنك...الملاعين! إنهم أينما ذهبوا كالدباب القدر حامل البزق، إنها لرمزيات تلك الدعايات و الأعياد المخددة لإستقلالكم، إنها لشكليات لا أساس لها من الصحة و الحقيقة. مجرد إيديولوجيات خبيثة تخدم مصالح فرقة الشر لتمارس عن طريقها القهر.

الأستاذ : إن ما هو ثابت و موثوق لا يقبل الشقوق، فلتخرس و لتنتظر عقوبتك القصوى

بين دينك و دنياك...تحاول إصلاح ما هو مكسور في داخلك بكسر كل ما هو صالح من حولك ...إنك لعبث خاسر فاته الأوان، تعبث بالمفاهيم، بالمعاني، بالأخلاق و القيم، بالذوات الإنسانية و بكل ما يحلو لك، لكن، هل تعرف؟
إنك أكثر واحد تم العبث به.

معلم الطبيعيات: (يخاطب الأستاذ في شغف) إنه مريض عقلي! ما رأيكم أن نقله بأيدينا و نقضي

على وجوده الطبيعي بيننا.

(لحظة صمت، الجميع يحمق في معلم الطبيعيات)

المجرم: (ينفجر ضحكا) ماذا! هل ستقتلني يا عالم براز الحشرات؟ هل ستستعين بحشرة في

فعل ذلك أم نباتة...؟ إذهب و إلا تبولت عليك!

معلم الطبيعيات: (منزعجا) تبالك! أنك لسفاح كافر بالله، كل ما تجيده هو الذبح و التقطيع كجزار

مجنون... (يصرخ) عليك أن تموت! يجب علينا أن نقطعه إربا إربا...

بأنفسنا علينا أن ننتقم لزملائنا الذين أودى بحياتهم...

أستاذة المعلومات : (منفعلة) متفقة معك! إنه مذنب حتما، و يبدو لي صائبا جدا أن نعاقبه بأنفسنا، إن ذلك لأفضل بكثير، إذ الموت مقابل القتل، كما الأجر مقابل العمل.

الأستاذ : (مندهش و غير مصدق) ماذا؟ هل فقدتما عقليكما أنتما الإثنان؟ هل تريدان أن تغدوان مجرمان بدوركما؟ هل ترغبان أنتما أيضا في سلك طريق العنف ذاك؟ هل إقتنعتما بكلامه الامعقول و الامقبول؟ هل هذه نتائج العلوم...؟ أن نحصل على خارقين للقانون !

معلم اللغة العربية : (سائما من الوضع) خربت! خربت! ويلتاه! ماذا عسانا الآن نوقف؟ مجرما واحدا أو قطيعا من المجرمين، هل بدأ الجميع يفقد صوابه هنا أم ماذا؟

معلمة الاجتماعيات : (مفكرة) هل تعلمون...؟ بدأت تتضح لي الصورة الآن... بدأت تبرز لي فحوى الأمر...إنها تلك السذاجة، تلك النزعة الفارغة نحو ما هو مختلف و غير مؤلوف، ذلك الميل لإستدافة الخيارات الجانبية، ذلك القصور في البصيرة و إنعدام الصراحة مع الذات الفقيرة، ذات أساتذة العلوم، إنهم فاقدون قطعاً للوعي بها مجملا و مكملا، و إلا لما كانوا إنجذبوا مع التيار الأخلاقي الذي يروج له هذا المجرم الخبيث.

أستاذة المعلومات: (منزعة) هذا ليس صحيحا! أنا لم أنجذب لأي تيار لأخلاقي أو ضوئي، بل

عبرت عن ما خالجي فقط، فأنا حرة في أبداء رأي على كل حال. أما قيمكم وتلك الأخلاق والقانون، هذه الخربقات لا أفهم مغزاها حتى... فأنا مجرد معالجة للمعلومات الرقمية، لكن معاملة الشخص بالمثل في هذه الحالة بدت لي مناسبة، فعقوبة القتل تليق أن تكون الموت كثار للضحايا.

معلم الطبيعيات: (ينظر إليها في إعجاب) أنا معك قلبا و قالبا! إن هذا المجرم المتعوس، ذو

الوجه المنحوس أنا من سيطلق عليه حكمه الإعدامي، وأكلفك أنت بصفتك المنفذة الرسمية لأحكامي الشخصية، أن تطبقه عليه!

معلم اللغة العربية: (ينفجر غضبا) أيها الجاهلان، هل صرتما دون وعي بذواتكم؟ أنتطاولان على

القانون لفظيا و تمهدان لإختراقه فعليا؟...فلتمسكوا بهم! هيا! المتهم لن يتم الحكم عليه سوى طبقا للقانون و ما جاءت به الدولة، لا زيادة و لا نقصان!

المجرم: (مستهزءا) يالا السخف! يالا التفاهة! يا مغفلين! نحن لسنا في المحكمة بعد، لذا

لا تحسبوا أنفسكم قضاة و محامون علي، فأنا لست تحت رحمة حكمكم اللعين هذا! فلتذهبوا جميعا للجحيم! لقد بدأ يحل الظلام، وقد تراجعت الحشود النائرة كلها بسبب إحتجازكم لي و عويلكم علي كالنساء طوال النهار...أنظروا! لم يعد هناك أحد غيرنا نحن و الجثتان اللتان كانتا في عداد فاقدني الوعي بالذات.

الأستاذ

: (متفاجئا) ماذا بهم؟ ماذا جرى لهم؟ هل فقدوا جميعا وعيهم بذاتهم، أم هويتهم التي فقدوا... لكن حتى لو كان كذلك فالذات المثالية أيضا ليست دائما تلك الواعية بذاتها فقط، أليس كذلك؟ والهوية أيضا؟ فالهوية أصلا ليست بالشيء الثابت فالوجود يسبقها، لكن ماذا لو كان هذا مجرد عصف للماهية الرائجة بدأ يخترق قلبي الأخلاقي القيمي وأنا لا أدري... رباها! هل سيعتريني الجنون أنا أيضا! هل سأغدو مجنوننا مثلهم بعد لحظات؟

الراوي

: بدأت الأمطار تهطل بغزارة على أساتدتنا، المجرم قد كف عن المقاومة و المجاهدة، ربما قد إستسلم فعلا، شيء عادي. لكن رغم ذلك، لا يزال معلما اللغتين العربية والإنجليزية يتابعان تقييد حركته و تسمير خفته، بينما الباقون، بعض منهم في خضم التفوه بالهراء و الحماقة، بعض آخر في خضم الصدمة جراء ما يسمع ويرى، بعض آخر يرتجف منه و بعض صامت لاقط اللسان متكئ على الحائط. فجأة حدثت كارثة مروعة لم تكن أبدا في حسابان الشجعان، كارثة لا يتقبلها عقل و لا يُعلم بها الزمان، إنها كارثة طبيعية نزلت كالوتد على المجمع أودت بحياة إثنين من أعضائه... بكل قدرية و حتمية لا نزاع فيهما، لقد كانت الضحيتان أستاذة المعلومات و معلم الطبيعيات...

إذ بينما الفقيد ين يقفان على الأرض ويستنشقان هواء الحياة تنزل على
رأسيهما صاعقة برقية فائقة الصدى و هائلة المدى ضربت كيانيهما
أحرقت الشعر و الجلد الذان لطالما كانا محطة إهتمام لديهما، أتلفت
العروق و خربت الأنسجة اللواتي كن دائما يأذن وظيفتهن، عكرت
الدم و أوقفت نبض القلب الذي حوى مشاعر و عواطف جل
الظروف، أما الدماغ فكان سلفا موقوف.

معلم التربية الدينية : (خائف مرتعا) الله أكبر! الله أكبر! حانت الساعة! الله أكبر! أشهد أن لا
إله إلا الله أشهد أن محمد رسول الله!

معلمة الإجتماعيات: (مصدومة من المشهد) أنا لا أريد الموت... لا أريد... لن أموت! أنا لست
مجنونة! سأعيش... أنا واعية بذاتي! (تصرخ)

معلم اللغة العربية : (منفعلا) اللعنة! إهدئوا! أصمتوا! لن يموت أحد، إنها حكمة و قدر، فالطبيعة
ليست بيدنا، إنها في يد الواحد الأحد سبحانه و هو من يحمينا و يحفظنا.

معلم اللغة الإنجليزية : (معارضيا) لن يموت أحد! هل تسخر منا أو ماذا؟ إنها الصاعقة و ما أدراك
ما الصاعقة، و محتمل جدا أن تضرب مرة أخرى، هل تريدنا أن ننتظرها
إلى أن تعاود ضربتها... أمجنون أنت؟ (أقلت المجرم و بدأ يتعد عنهم بخطوات)

معلم اللغة العربية : (يترك المجرم أيضا) فلتذهب! أنا أصلا لست من يجب عليه القبض عليك!

ليس شأني !

المجرم : (ينهض من الأرض) لقد أخبرتكم، لا يوجد قانون! والآن... مجنونان

آخران وافتهما المنية... لكن، لما على تلك الحالة المزرية؟ و خصوصا بعد تفوههم بتلك العبارات الغير مجدية، هل من الممكن أن تكون تلك العلوم التجريبية؟ تلك السكين الحافية، التي لم تستطع قطع الطبيعة الوفاية؟ لما تصلح إذن؟ ياللهزلة! لقد فارقوا الآن هذه الأجساد الجامدة دون رجعة، الأجساد التي كانت تحدد وجودهم وجود النكرات، باللقرف!
(يغادر المكان في بطئ)

معلم التربية الدينية : (يغمض عينيه) عودوا إلى أنفسكم! عودوا إلى أنفسكم! و لنشرع في صلاة

جنازة على هذه الجثث، فرائحتها بدأت تفوح.

معلم اللغة الإنجليزية : (يقرب منهم) صدقت! إنها لرائحة نافثة و كريهة، أشبه ما تكون برائحة

الجيفة!

معلمة الاجتماعيات: تبولوا عليهم! تبولو و ستنقص الرائحة، لقد قرأت ذلك في كتاب لعلم الأحياء،

إنها لمؤذية رائحة الجيفة تلك، وقد تسبب أضرار جسيمة على صحة الفرد

مادام يسنشقها.

معلم اللغة الإنجليزية: (بدأ يفتح حزامه) حقاً! هل صحيح ما تقولين؟

المجرم : (ينهره من بعيد) توقف لا تفعل! هل تنسط لتلك المجنونة؟ عار عليك! هل

تنوي أن تزيد عبدا نجاسة على نجاسة، دنس على دنس، لقد فروا بذوات
دنسة يملؤها الوسخ و المسخ الفكري، يكفيهم ذلك! يكفيهم! (يكلم سيره)

الأستاذ : إني أشعر بالبرد القارص يخترق أحشائي و يهشمها، قد نموت بردا نحن

الأخرون إن لم نجد مكان دافئاً نسترجع فيه سخونة أجسادنا، فهذا المطر
ليس بالطبيعي أبداً على ما يبدو، إنه لكالسّم القاتل مجهد العقول و السيف
المسلول قاطع السبل.

معلم اللغة العربية : (مرتبكا) كيف! أنذهب و نترك أربع جثث ورائنا، إثنان مقتولان بالسلاح

الأبيض و إثنان مصعوقان بشبح الطبيعة، أيعقل هذا! فل تتصلوا بأحد ما!
إتصلوا بالإسعاف! إتصلوا بالإطفاء! إتصلوا بأي كان، بمستودع الأموات
بتاجري الأعضاء أي كان!

معلم اللغة الإنجليزية: (متوتراً) سأجرب الإتصال بهم جميعاً...

معلمة الاجتماعيات: (تصيح خائفة) لكن إذا لم نتحرك قبل فوات الأوان من الممكن أن نتجمد

بردا و نموت، ألم تسمعوا؟ هيا بسرعة! (بدأت في التحرك)

معلم اللغة الإنجليزية : (يتصل بأحدهم) لحظة!...

معلم اللغة العربية : من؟

معلم اللغة الإنجليزية : إنه الإسعاف، أخبروني أن جميع السيارات مشغولة حالياً...ستكون

إحدها متوفرة الأسبوع القادم.

معلم اللغة العربية : تبا! جرب إتصل برقم آخر! (معلم اللغة الإنجليزية يتصل مجددا)

معلم اللغة العربية : من؟

معلم اللغة الإنجليزية : الإطفاء! لكن جميع شاحناته في خضم إنحام نيران إندلعت بغابات

الأرغان، قام البوليزاريو بإيقادها...

معلم اللغة العربية : اللعنة! ما العمل؟ هل نذهب...أمتأكدون من قراركم؟

معلم التربية الدينية : غير جائز شرعا، لهم علينا حق الجنازة، كرهنا أم أيننا...

معلم اللغة الإنجليزية : (يتصل مرة أخرى) لحظة! لحظة! إنتظروا!!

معلمة الاجتماعيات : بمن تتصل هذه المرة؟

معلم اللغة الإنجليزية : تاجري الأعضاء...مرحى! إنهم قادمون على الفور.

معلم اللغة العربية : وأخيرا!!

معلمة الإجتماعيات : نعمة هي تلك الخدمة، إنها الشيء النافع الوحيد الذي وفرته لنا فرقة الخير...

الـراوي : بعد دقائق تظهر سيارة تجاري الأعضاء، و تبدأ في تحميل الجثث الهامدة و

الملقاة أرضاً، فيما يغادر أساتذتنا المكان عائدين من حيث أتوا.

